

## عظة قداسة البابا فرنسيس عشية عيد القيامة

ببازليك القديس بطرس

سبت المنور - 26 مارس / آذار 2016



"قام بطرس فأسرع إلى القبر" (لو ١٠، ٤) ما هي الأفكار التي بإمكانها أن تقلق عقل بطرس وقلبه خلال إسرعه إلى القبر؟ يقول لنا الإنجيل أن الأحد عشر، ومن بينهم بطرس، لم يصدقوا شهادة النساء وإعلانهن الفصحي. لابل "بَدَت لَهم هذه المآقوال أشبه بالهذيان" (آية ١١). ففي قلب بطرس كان يقيم الشك ترافقه العديد من الأفكار السلبية: الحزن لموت المعلم الحبيب والمخيبة لإنكاره ثلاث مرات خلال الآلام

لكن هناك عنصر يطبع تحوُّله: فبعد أن سمع بطرس النساء ولم يصدقهُنَّ، بالرغم من ذلك قام ولم يبق جالساً أي فُكَّر، لم يبق منغلِقاً في البيت كالمباقيين. لم يسمح للجو المظلم لتلك الأيام بأن يحبسهُ، ولما لشكوكه بأن تستحوذ عليه؛ لم يسمح بأن يستولي عليه الندم والخوف والمثيرة المستمرة التي لا تقود إلى شيء. بحث عن يسوع وليس عن نفسه. فضل درب اللقاء والثقة، وهكذا كما كان، قام وأسرع نحو القبر الذي عاد منه "مُتَعَجِّباً" (آية ١٢) لقد كانت هذه بداية "قيامه" بطرس، قيامة قلبه. وبدون الاستسلام للحزن والظلام، أفسح المجال لصوت الرجاء: سمح لنور الله أن يدخل إلى قلبه، دون أن يخنقه

حتى النساء اللواتي خرجن في الصباح الباكر للقيام بعمل رحمة، ويحملن الطيوب إلى القبر، عشن الخيرة عينها. كن "خائفات ووجوهن مننكسة نحو الأرض"، ولكن هن ذهبن لدى سماعهن لكلمات الملاكين: "لماذا تبحثن عن الحي بين الأموات؟" (آية ٥).

نحن أيضاً، على مثال بطرس والنساء، لا يمكننا أن نجد الحياة إن بقينا تعساء وبدون رجاء وإذا بقينا سجناء داخل أنفسنا، وإنما لنفتح للرب قبورنا المغلقة - وكل من يعرف هذه القبور-، لكي يدخل يسوع ويعطي الحياة؛ لنحمل إليه حجارة المحقد وصخور الماضي، وأثقال الضعف والسقطات. هو يريد أن يأتي ويمسكنا بيدنا ليسحبنا خارج المأس. ولكن هذا هو الحجر الأول الذي ينبغي أن ندحرجه بعيداً في هذه الليلة: نقص الرجاء الذي يغلقنا في أنفسنا. ليحررنا الرب من هذا الضخ الرهيب ومن أن نكون مسيحيين بدون رجاء، يعيشون كما لو أن الرب لم يقم من بين الأموات وكما لو كانت مشاكلنا محور الحياة.

نرى وسنرى باستمرار مشاكلنا وقربنا وفي داخلنا. ستكون هناك مشاكل على الدوام، ولكن ينبغي علينا هذه الليلة أن نضيق هذه المشاكل بنور القوائم من الموت، بمعنى آخر "أن نبشرها". نبشر هذه المشاكل. لا نسمح للظلمات والخوف بأن يجذبوا نظر النفس ويستولوا على القلب، بل لنصغي إلى كلمات الملاك: الرب "ليس هنا، بل قام" (آية ٦)؛ هو فرحنا الأعظم وهو دائمًا بقربنا ولما يخينا بنا أبدًا.

هذا هو أساس الرجاء، والذي هو ليس مجرد تفاؤل ولما حتى موقف نفسي أو دعوة لنتشجع. الرجاء المسيحي هو عطية يمنحنا الله إياها إن خرجنا من ذواتنا وانفتحنا عليه. هذا الرجاء لا يخيب لأن الروح القدس قد أفيض في قلوبنا (را. رو ٥، ٥). إن المعزي لا يجعل كل شيء يبدو جميلًا ولما يزيل الشر بواسطة عصا سحرية، وإنما يعث قوة الحياة الحقيقية والتي ليست غياب المشاكل وإنما اليقين بأن المسيح يحبنا ويغفر لنا على الدوام، هو الذي من أجلنا انتصر على الخطيئة وانتصر على الموت وانتصر على الخوف. اليوم هو عيد رجائنا والاحتفال بهذا اليقين: لا شيء ولما أحد يمكنه أن يفصلنا عن محبته (را. رو ٨، ٣٨).

الرب حي ويريد أن نبحث عنه بين الأحياء. بعد أن نلتقي به، يُرسل كل فرد منا ليحمل إعلان الفصح وليولد الرجاء وينعشه في القلوب المثلثة بالحزن وفي الذين يتعبون لإيجاد نور الحياة. هناك حاجة كبيرة له اليوم. وإن نسي أنفسنا، كخادم فرحين للرجاء، نحن مدعوون لإعلان القوائم من الموت بواسطة الحياة والمحبة؛ ولما فسكون مجرد هيكلية دولية مع عدد كبير من المنتسبين والقواعد الجيدة، ولكنها غير قادرة على إعطاء الرجاء الذي يتعطش له العالم.

كيف يمكننا أن نغذي رجاءنا؟ إن ليتورجية هذه الليلة تعطينا مشورة صالحة. تعلمنا أن نتذكر أعمال الله. في الواقع، لقد حدثتنا القراءات عن أمانته وتاريخ حبه لنا. إن كلمة الله حية وهي قادرة أن تدخلنا في تاريخ الحب هذا معززة الرجاء ومنعشة الفرح. هذا ما يذكرنا به أيضًا الإنجيل الذي سمعناه: فلما يبعث الملاك الرجاء في النساء قال لهن: "أذكرن كيف لكم كن [يسوع]" (آية ٦). أن نتذكر كلمات يسوع، ونتذكر كل ما قام هو به في حياتنا. لا ننسى كلماته وأعماله ولما فسنفقد الرجاء ونصبح مسيحيين بلا رجاء؛ ولكن لتقيم ذكرى الرب وصلاحه وكلماته كلمات الحياة التي لمستنا، لتذكرها ولتبتنأها لنكون رقباء المصباح الذين يعرفون كيف يقرؤون علامات القوائم من الموت.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، المسيح قام! وصار لدينا الإمكانية لأن نفتح لاستقبال عطية الرجاء. لنفتح على الرجاء ولننطلق في المسيرة: لتكن ذكرى أعماله وكلماته النور المشرق الذي يوجه خطواتنا بثقة نحو ذلك الفصح الذي لا يعرف نهاية.